مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٧) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٧) 2023

الزراعة في قنسرين في العصر الأموي(١٣٢-٤١هـ/٦٦١-٧٤٩م)

*د. بسام علوش

**د. شيرين حمودي

*** رويدة علي

(تاريخ الإيداع ٢٣/١٠ /٢٠٢٣. قُبِل للنشر في ١٠/٩ /٢٠٢٣)

□ ملخّص □

تعد الزراعة أبرز القطاعات الاقتصادية وأهمها، والتي تأسهم بنصيب كبير في اقتصاد أي بلد زراعي، فهي مصدر أساسي للدخل بالنسبة إلى الدولة وللسكان في معظم البلدان التي تتوافر فيها مقومات الزراعة، لهذا فقد كانت الزراعة ركناً أساسياً من أركان الدولة العربية الإسلامية في بلاد الشام بالعصر الأموي، حيث أسهمت في زيادة إيرادات الدولة المالية، وكانت مصدراً أول للدخل الاقتصادي، ونشاطاً عاماً لمعظم مناطق بلاد الشام، ولعل السبب الرئيس لانتشار الزراعة في أغلب مناطق بلاد الشام ونواحيها، هو توافر مقوماتها من تربة خصبة، ومناخ ملائم متنوّع وأمطار ومياه وفيرة، وشمال بلاد الشام وعلى وجه التحديد قنسرين وقصبتها حلب، تعد من أخصب الأراضي الزراعية في بلاد الشام مما أسهم في تنوّع حاصلاتها الزراعية، والذي أسهم في هذا التنوع بأصناف النباتات والمزروعات بهذه المنطقة أيضاً هو التنوع الجغرافي الذي ضمّته، فضلاً عن وفرة أمطارها والجهود المبذولة للخلفاء الأمويين الذين اعتنوا بالزراعة وبالأراضي الزراعية في كل أنحاء الدولة العربية الإسلامية، وبالتحديد في بلاد الشام وذلك لتوافر مقومات الزراعة فيها كما ذُكر سابقاً، حيث عملوا على إحياء الأراضي الزراعية المهجورة التي هجرها أصحابها لأسباب متنوعة، وبذلوا الكثير من الجهد لإيصال المياه إلى كثير من المناطق والأراضي، التي كانت تحول ندرة المياه دون استثمارها أو زراعتها، فأنشأوا السدود وحفروا الترع والأنهار الصغيرة، وبنوا الخزانات والصهاريج والبرك لتخزين مياه الأمطار لاستخدامها في فصول الجفاف، مما انعكس انعكاساً إيجابياً على تطوّر الزراعة، فتنوّعت المحاصيل الزراعية بين أشجار مثمرة وحبوب وخضار وفواكه وغيرها من المحاصيل التي تتطلب زراعتها توافر المياه بشكل دائم ووفير كالقطن، الأمر الذي زاد في الإنتاج الزراعي الذي أسهم بزيادة واردات الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي.

الكلمات المفتاحية: الزراعة، قنسرين، حلب، العصر الأموي، الحاصلات الزراعية، المشاريع المائية.

* المشرف–أستاذ مساعد في قسم التاريخ–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة البعث

** المشرف المشارك–أستاذ مساعد في قسم التاريخ–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة تشرين

*** طالبة دراسات العليا(دكتوراه) في قسم التاريخ–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة البعث

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٧) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٧) 2023

Agriculture in Qinnasrin during the Umayyad period (41-132AH/661-749AD)

*** Dr.Bassam Alloush**
****Dr.Sheeren Hammoody**
*****Rwaida Ali**

(Received ٢٣/١٠ /٢٠٢٣. Accepted ١٠/٩/٢٠٢٣)

□ ABSTRACT□

Agriculture is the most prominent and most important economic sector that contributes a large share to the economy of any agricultural country, For this reason, agriculture was an essential pillar of the Arab Islamic state in the Levant in the Umayyad era, as it contributed to increasing the state`s financial revenues and was a primary source of economic income and general a activity for most regions of the Levant, Perhaps the main reason for the spread of agriculture in most regions and areas of the Levant is the availability of its ingredients, such as fertile soil, a suitable diverse climate, abundant rain and water, and the north of the Levant, specifically Qansrine and its reed, Aleppo, which is one of the most fertile agricultural lands in the Levant, what contributed to the diversity of its agricultural crops, which contributed to this diversity in the types of crops in this region as well, is the geographical diversity that it contained, as well as the abundance of its rain and the efforts made by the Umayyad Caliphs, Those who made a lot of effort to deliver water to many areas and lands that prevented water scarcity from investing or cultivating it, so they built dams and dug canals and small rivers and built reservoirs, cisterns and ponds to store rainwater, which reflected positively on the development of agriculture, as agriculture crops varied between fruitful trees, grains, vegetables and fruits, which increased agriculture production, which contributed to an increase in the imports of the Arab Islamic state in the Umayyad.

Keywords: Agriculture- Qansrine-Ingredients Agriculture- Agricultural crops- water projects.

***** Assistant professor in the Department of History, College of Arts and Humanities , Al-Baath University.
****** Assistant professor in the Department of History, College of Arts and Humanities, Tishreen University.
*******,a graduate student(PhD) in the Department of History, College of Arts and Humanities, Al-Baath University.

أولاً: المقدمة:

إنّ قوة الدول واستقلالها لا يرتبط بقوتها العسكرية والانتصارات السياسيّة التي تحققها فقط، بل باستقرارها الاقتصادي وقدرتها على تأمين الاكتفاء الذاتي لسكانها في أي ظرف من الظروف، لهذا حرص الخلفاء الأمويون على العناية بجوانب الحياة الاقتصادية في كل أنحاء الدولة العربية الإسلامية، لاسيما بلاد الشام وقنسرين، فقد كانت جنداً مهماً من أجناد بلاد الشام، لها أهميتها السياسية والاقتصادية التي استمدتها من موقعها الجغرافي الذي فرض تنوّعاً طبيعياً وتضريسياً أسهم في تنوع مواردها، وعليه أولى الأمويون اهتماماً كبيراً للزراعة باعتبارها النشاط الأول للسكان في المناطق والنواحي التي شملتها دولتهم، ولأنها النشاط الأساسي الذي تقوم عليه الأنشطة الاقتصادية الأخرى من صناعة وتجارة، وهي القاعدة الاقتصادية التي يمكن أن تحقق نوعاً من الاكتفاء الذاتي في غذاء السكان لأية دولة من الدول، وتسهم أيضاً بنصيب كبير من واردات الدول، لهذا كله حاول الخلفاء الأمويون السعي من أجل تطوير هذا الجانب الاقتصادي وتحسينه بما ينعكس إيجاباً على واقع الحياة العامة في الدولة العربية الإسلامية، فعملوا على معالجة مشكلة نقص المياه التي حالت دون استثمار مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وجعلتها خارج الاستثمار الزراعي، ومنعت زراعة العديد من المحاصيل والمزروعات التي تحتاج زراعتها كميات وفيرة من الماء، أي أنّهم طبقوا سياسة مائية شملت كل نواحي ومناطق دولتهم، بما في ذلك قنسرين، حيث بذلوا جهوداً كبيرة لإيصال المياه إلى كل المدن والبلدات والأحياء والأراضي، فحفروا الترع وشقوا القنوات والأنهار الصغيرة، وأقاموا الخزانات والبرك وحفروا الآبار بما يكفل تأمين المياه في أي وقت من السنة حتى في فصول الجفاف، الأمر الذي كانت له نتائج إيجابية على مختلف جوانب الحياة العامة الاقتصادية والاجتماعية، والذي ساعد الأمويين على نجاح سياستهم المائية أو الزراعية التي تستهدف تطوير الزراعة وزيادة مردودها الاقتصادي في قنسرين، مجموعة من العوامل الطبيعيّة

الهدف من البحث: توضيح السياسة المائية أو الزراعية التي تبنّاها الأمويون في قنسرين والتي ساعدت في تنوع المحاصيل الزراعية وانعكاسها على إنعاش قطاع الزراعة وتطويره ومساهمته في إدخال أصناف زراعية جديدة إلى المنطقة، وتحسين الإنتاج الزراعي، إضافة إلى معرفة أهم أنواع المحاصيل الزراعية التي زرعت في قنسرين والتي تلاءمت وظروف المناخ في المنطقة.

إشكالية البحث: لماذا اهتم الأمويون بالزراعة أكثر من غيرها؟ وهل كان تنوّع المحاصيل الزراعية في قنسرين مرتبط بجهود الخلفاء الأمويين وسياستهم المائية والزراعية التي طبّقوها أم أنّه مرتبط بعوامل أخرى فرضتها الطبيعة؟ وما هو الدور الذي لعبه المناخ والموقع الجغرافي في إنجاح السياسة الزراعية التي طبقها الأمويين في قنسرين، وهل كان لمشروعات الري التي نفّذها الأمويون في المنطقة نتائج على الحياة الاقتصادية؟

منهج البحث: تم الاعتماد في هذا البحث على طريقة التحليل الاستقرائي والاستنتاجي، وذلك من خلال تحليل بعض المعلومات الواردة في المصادر والمتعلقة بالبحث، إضافة إلى الاستفادة من المراجع والأبحاث والدراسات الحديثة والتي اهتمت بهذا الموضوع، ثم تقديمها بأسلوب واضح وجديد.

ثانياً: جغرافية قنسرين وأثرها في التنوّع الزراعي فيها.

تقع قنسرين في الأجزاء الشمالية من بلاد الشام، هذه الأجزاء التي سميت سورية الأولى أيام الرومان، وكانت من المقاطعات الإدارية الثمانية التي أنشأها الرومان، ونظراً لأهمية قنسرين وازدهارها بسبب وقوعها في ملتقى الطرق التجارية القديمة، أصبحت عاصمة سوريا الأولى ، وبعد الفتح العربي الإسلامي للمنطقة وانتقال مقاليد الحكم إلى بني أميّة جعل الأمويون قنسرين جنداً مستقلاً من أجناد الشام التي أوجدها العرب المسلمون في بلاد الشام بعد فتحهم للمنطقة، حيث فُصلت قنسرين عن جند حمص، فأصبحت أجناد الشام خمسة بدلاً من أربعة ، أما حدود قنسرين الطبيعية فيحدّها من الشرق نهر الفرات الذي فصلها عن أرض الجزيرة الفراتية، وشكّل حدّاً طبيعياً رسم معالم حدودها الشرقية بعد مروره بعدة قرى وبلدات، أبرز هذه القرى والبلدات وأشهرها سميساط ، وقلعة الروم ثم جسر منبج وبآلس حتى الرصافة التي تعتبر حد قنسرين من الجنوب الشرقي ، أما الحد الغربي لقنسرين فهو[٨] البحر المتوسط (البحر الشامي) بدءاً من اللاذقية وحتى أنطاكية، فيما يحدّها من الشمال الثغور التي فصلت بينها وبين أراضي[٩] الروم، أما حدود قنسرين الجنوبية هي الامتداد الجغرافي لسلسلة المدن والمناطق بدءاً من الرصافة في الجنوب الشرقي وانتهاءً باللاذقية في الجنوب الغربي .

ويبدو أنّ الموقع الجغرافي لبلاد الشام وطبيعة التضاريس فيها أدت إلى تباين واضح في المناخ السائد في أنحاء البلاد، فمناخ المرتفعات الجبلية يختلف عن مناخ السواحل الذي بدوره يختلف عن مناخ السهوب والصحاري، أي أنّ المناخ في بلاد الشام اختلف باختلاف المناطق الطبيعية، لكن ذلك لا يعني اختلاف المناخ بشكل كامل وكلي بين مناطق بلاد الشام، حيث سيطر على الأجزاء الشمالية الغربية من بلاد الشام المناخ المتوسطي(مناخ البحر المتوسط) بينما ساد المناخ القاري والصحراوي في الأجزاء والمناطق البعيدة عن البحر باتجاه الصحراء شرقاً، وعليه تختلف كمية الأمطار المتساقطة سنوياً بين منطقة وأخرى بحسب المناخ السائد فيها، فيلاحظ تساقطاً كبير للأمطار في الأجزاء

[١] زيادة(نقولا): دراسات في الحضارة والتاريخ، بيروت، الاهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠٢م، ص١٠٦.

[٢] ابن خياط (خليفة العصفري، ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء الدين، بيروت، دار القلم، ط٢، ١٩٧٧م، ص١٥٥؛ اليعقوبي (أحمد بن إسحاق، ت٢٩٢هـ/٩٠٥م): تاريخ اليعقوبي، تح: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٦٣.

[٣] سميساط: بضم أولها وفتح ثانيها، ثم ياء مثناة من تحت ساكنة، مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات؛ ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، د. ط، د.ت، مج٣، ص٢٥٨.

[٤] قلعة الروم: قلعة حصينة غرب الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط، وهي وسط بلاد المسلمين؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص٣٩٠.

[٥] منبج: مدينة واسعة ذات خيرات كثيرة، تحيط بها البساتين من كل النواحي، تمتاز بطبيعتها الجميلة وهوائها العليل، وهي من مدن الروم القديمة كانت محاطة بسور بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ؛ ابن جبير (محمد بن أحمد، ت٦١٤/١٢١٧م): رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، ص٢٢٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص٢٠٥-٢٠٦.

[٦] بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة، يقال سميت باسم بالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام، تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات، كانت معسكراً لمسلمة بن عبد الملك ثم أصبحت لورثته من بعده؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص٣٢٨.

[٧] الرصافة: مدينة غرب الرقة، بناها الخليفة هشام بن عبد الملك لما وقع الطاعون بالشام، كان يسكنها في الصيف، بينها وبين الرقة أربعة فراسخ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص٤٧.

[٨] الأزدي (يزيد بن محمد، ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م): تاريخ الموصل، تح: علي حبيبة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، ١٩٦٧م، ص٥٠.

[٩] الثغور: الثغور: لغةً: جمع مفرده ثغر، وهي كل فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك، واصطلاحاً: الثغر هو كل موقع قريب من أرض العدو، فالثغور مواضع خطيرة من الحدود يتسنى للعدو التسلل منها بسهولة إلى أرض عدو؛ ابن سيده (علي بن إسماعيل، ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م): المحكم والمحيط الأعظم، تح: حمدي الدمرداش، القاهرة، مكتبة نزار الباز، ط١، ٢٠٠٠م، ج٥، ص٤٨٣؛ ابن منظور (محمد بن مكرم، ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، بيروت، دار صادر،١٩٩٣م، ج٤، ص١٠٣.

[١٠] ابن الشحنة (محمد بن محمد، ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م): الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تح: يوسف بن إليان سركيس الدمشقي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٠٩م، ص١٠.

[١١] رحال(عاطف): تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، بيروت، دار بيسان للنشر، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٥.

الشمالية الغربية من البلاد بسبب الرياح الرطبة القادمة من البحر، بينما تتناقص كمية الأمطار المتساقطة كلما اتجهنا من الغرب نحو الشرق ومن الشمال نحو الجنوب .[١]

وعليه إنّ وقوع قنسرين في هذه المنطقة من بلاد الشام وامتدادها الجغرافي أدى إلى تنوع المظاهر التضريسيّة والجغرافية فيها، حيث احتوت على جبال وسهول وهضاب، هذا التنوّع الجغرافي إضافة إلى عوامل أخرى مثل المناخ الملائم، والعناية الكبيرة التي أولاها الأمويين للزراعة في كل أنحاء الدولة العربية الإسلامية، أسهمت في تنوّع الحاصلات الزراعية لهذه المنطقة.

ثالثاً: أصناف الأراضي في المنطقة بحكم الشريعة الإسلامية:

تنوعت أصناف الأراضي في قنسرين حالها حال بقية أجناد بلاد الشام وأقاليم الدولة العربية الإسلامية، حيث قسّم العرب المسلمون الأراضي بعد فتحهم لها كلٌ بحسب ظروف فتحها أو استملاكها ومن هذه الأراضي:

أ-الأراضي الخراجية: هي الأرض التي صالح عليها المسلمون أصحابها من أهل الذّمة شريطة أن يؤدوا عنها ضريبة الخراج للدولة العربية الإسلامية، ومن أسلم منهم يعفى من أداء الخراج، وينقل ما بيده من الأرض إلى يد أهل قريته من أهل الذمة يدفعون عنها خراجاً للمسلمين .[٢]

ب-الأراضي العشرية: الأراضي العشرية لها عدّة حالات، فهي الأرض التي أسلم أهلها وهم عليها من دون حرب، وهي الأرض التي فتحت عنوةً وقسمها الخليفة على الفاتحين، والأرض التي أخذت من المشركين وملكها المسلمون ودفعوا العشر عنها، ويجوز فيها البيع والشراء .[٣]

ت-أرض الصوافي: هي أرض كانت في الأصل لملوك وأكاسرة الرومان والفرس، هرب أصحابها منها في أثناء الفتح العربي الإسلامي، فأصبحت من دون مالك، وهذه الأرض كان الخليفة يحييها بنقل ملكيتها لناس جدد يستثمرونها ويؤدون عنها ضريبة لبيت مال المسلمين، ولا يتمتع صاحبها بحق ملكيتها وتوريثها .[٤]

ث-أرض الموات: هي الأرض الخراب التي لم يجر عليها ملك لأحد ولم يوجد بها أثر عمارة[٥] وهذا النوع من الأرض يملك بالأحياء.

رابعاً: طرق استثمار الأراضي الزراعية:

كان صاحب الأرض يقوم بزراعة أرضه والعناية بها في حال كانت مسحتها صغيرة، أما في حال كانت مساحة أرضه كبيرة فإنّه لن يستطع زراعتها والعناية بها بمفرده، لهذا كان يستأجر عمالاً يساعدونه في إنجاز الأعمال الزراعية والعناية بأرضه مقابل أجرمن المال يومي أو سنوي ، ونظراً لتطور الظروف واتساع مٍساحات الأراضي

---

[١] عبد السلام(عادل): جغرافية سورية طبيعية بشرية اقتصادية، دمشق، ١٩٧٠م، ج١، ص٢٦٢.

[٢] الماوردي (علي بن محمد، ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٠م، ص١٤٧.

[٣] صالح (محمد أمين): النظام العالمي والاقتصادي في الإسلام، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٤م، ص٩٣-٩٤.

[٤] العش(يوسف): الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٦٥م، ص٢٧١.

[٥] ابن قدامة (عبدالله بن أحمد، ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م): المغنى، تح: محمد رشيد رضا، القاهرة، دار المنار، ط٢، ١٩٤٧م، ج ٥، ص٥١٣.

[٦] عبد السلام(عادل): جغرافية سورية، ج١، ص٦٤٥-٦٤٧.

الزراعية واتساع الحاجة إلى استثمار الأراضي الزراعية عُرفت عدة طرق لاستثمارها تقوم على أساس المشاركة بين صاحب الأرض والفلاح، من هذه الطرق:

أ-المزارعة: وهي أن يقوم صاحب الأرض بدفع أرضه إلى من يزرعها ويعمل بها، ويكون الزرع بينهما ، أي أنها عقد بين الفلاح وصاحب الأرض يتفقان فيه على زراعة مساحة من الأرض بشرط أن يكون ناتج المحصول بينهما على جزء معلوم لأحد الطرفين، النصف أو الثلث أو الربع.

ب-المغارسة: هي عقد بين طرفين أحدهما صاحب الأرض والآخر الفلاح الذي سيعمل بها، يتفقان على أن يقوم الفلاح بغرس الأشجار المثمرة في الأرض، وفي نهاية مدة الاتفاق يكون للفلاح حصة في الأرض والشجر وبموجب هذا الاتفاق ينتقل جزء من ملكية الأرض من صاحبها إلى الأرض .[٣]

ت-المساقاة: هي أن يدفع صاحب الأرض شجره إلى آخر ليقوم بسقيه والعناية به مقابل إعطائه جزء معلوم من ثمر هذا الشجر كالنصف أو الثلث أو الربع .[٤]

ث-الضمان: هو اتفاق بين صاحب البستان والبستاني، أي (صاحب الأرض والمزارع الذي سيضمنها)، يأخذ بهذا الاتفاق صاحب البستان المبلغ الذي اتفقا عليه مقابل تسليم شجره أو بستانه للضمّان أي (المزارع) الذي سيستغل المحصول كله حتى آخر الموسم، فينتهي العقد بانتهاء موسم القطاف[٥].

ج-الإجار: هو اكتراء الأرض وقتاً محدداً مقابل نقد معلوم من الذهب والفضة[٦].

خامسا: الأدوات الزراعية المستخدمة في الزراعة:

أ-المحراث البلدي المصنوع من الخشب: عبارة عن محراث بسيط تجره الحيوانات مصنوع من الخشب وله سكة من الحديد أو الخشب خفيفة الوزن، يطلق على هذا المحراث اسم الجاره ، يتراوح طول سكة المحراث بين[٧] ٨-١٠سم، الأمر الذي لا يسمح لها بالتعمق في الأرض في أثناء عملية الحراثة ، يجر هذا المحراث بواسطة الثيران أو الحمير والحقيقة إنّ هذا المحراث الذي كان مستخدماً في كل أنحاء بلاد الشام بما فيها قنسرين كان متطوراً عن المحراث الروماني القديم الذي كان يستخدم في المنطقة قبل الفتح العربي الإسلامي لها .[٩]

ب-الفأس(المنقوش): المنقوش مفرد جمعها مناقيش، وهي عبارة عن فؤوس صغيرة ذات أطراف حادة ، تستخدم هذه الفؤوس أو المناقيش في حراثة الأراضي الجبلية المرتفعة والوعرة والضيّقة التي لا يمكن للدواب أو الحيوانات أن تصلها، كما تستخدم في حفر وحراثة الأرض المزروعة أشجاراً مثمرة ربما على سلامة هذه الأشجار من الحيوانات.

---

[١] ابن قدامة: المغنى، ج٥، ص٣٨٢.
[٢] كاهين(كلود): تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، تر: بدر الدين قاسم، القاهرة، دار الحقيقة، ط١، ١٩٤٧م، مج١، ص١٨١.
[٣] عبد السلام(عادل): جغرافية سوريا، ج١، ص٦٤٦-٦٤٧.
[٤] ابن قدامة: المغنى، ج٥، ص٣٦.
[٥] عبد السلام(عادل): جغرافية سوريا، ج١، ص٦٤٧.
[٦] أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم، ت١٨٢ه/٧٩٨م): الخراج، القاهرة، المكتبة السلفية، ط٢، ١٩٦٢م، ص٩١.
[٧] أبو هلال العسكري (الحسن بن عبدالله، ت٣٩٥ه/١٠٠٤م): التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح: عزة حسن، دمشق، المجمع العلمي العربي،١٩٦٩م، ج٢، ص٤٧٣.
[٨] حمادة(سعيد): النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان، بيروت، المطبعة الأمريكية،١٩٣٦م، ص٩٢.
[٩] لمعلومات أكثر تفصيل عن هذا المحراث البلدي المطوّر عن المحراث الروماني القديم يمكن العودة إلى كتاب؛ الشهابي(مصطفى): الزراعة العملية الحديثة، دمشق، مطبعة الاعتدال، ط٢، ١٩٣٥م، ص٦٩.
[١٠] ابن بصال (محمد بن إبراهيم، د. ت): كتاب الفلاحة، تح: فوسي ماريه، محمد عزيمان، المغرب، مطبعة كريما ديس، ١٩٥٥م، ص١١٩.
[١١] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص١٦٨؛ الشهابي: الزراعة العملية الحديثة، ص٦٨.

ت–المجرفة: هي عبارة عن فأس عريضة تستخدم لتنظيف قنوات المياه والري من الأعشاب والأوساخ العالقة بها، كما تستخدم في قلب التراب .[١]

ث–المنجل: هو عبارة عن حديدة مقوّسة حادة على شكل نصف دائرة له نصال خشبية، يعد المنجل من أهم الأدوات الزراعية لأنه يستخدم في مرحلة حصاد وجني المحاصيل وفي عملية تقليم وتقطيع أغصان الأشجار .

ج–أداة خاصة لفصل الحبوب عن سوقها(الدراسة): كانت هذه الأداة مؤلّفة من لوح خشب طوله حوالي مترين وعرضه أقل من طوله، يثبت أسفل هذا اللوح حجارة صغيرة صلبة وغير مهذبة كثيرة النتوءات لتساعد على فصل السنابل عن سوقها وتقطيعها .[٣]

ح–الخرج: هو عبارة عن قطعتين متصلتين مصنوعتين من الخيش أو الجلد أو القش توضع على ظهر الدابة بحيث تكون كل قطعة منهما في جهة، قطعة على اليمين وقطعة على اليسار، وقد استخدم في نقل المحاصيل الزراعية والحمولة التي يريد الفلاح نقلها .[٤]

سادساً: السياسة الزراعية للخلفاء الأمويين والتي أسهمت في تطوّر الزراعة في المنطقة:

إنّ الموقع الجغرافي لقنسرين في الأجزاء الشمالية لبلاد الشام جعل المناخ السائد فيها أو المسيطر عليها بحسب المعطيات التي ذُكرت سابقاً هو المناخ المتوسطي، وجعل كمية الأمطار المتساقطة فيها كبيرة إذا ما قُورنت بمناطق بلاد الشام الأخرى، لهذا أمكن القول إنّ زراعة هذه المنطقة ارتبطت بعدة عوامل ومقومات؛ كان أولها كمية الأمطار المتساقطة سنوياً، أي أنّ أغلب المحاصيل الزراعية فيها هي محاصيل بعلية تعتمد في ريها وسقايتها على مياه الأمطار كباقي مدن ومناطق بلاد الشام، حيث أكد المقدسي ذلك بقوله: (الشام بلد يمطر في كل سنة، فلا يتعطل الزرع فيه، إلا أنّه رما أخصب وربما أجدب) .[٥]

ومعنى هذا الكلام أنّ الإنتاج الزراعي في هذه المنطقة كان مرتبطاً بالأمطار كباقي مناطق بلاد الشام، فإن تساقطت الأمطار السنويّة والموسميّة نمت الزروع والمحاصيل؛ وإن غضبت الطبيعة ولم تتساقط الأمطار ماتت الزروع وانعدم المحصول، هذا الوضع جعل الخلفاء الأمويين يفكرون بضرورة إيجاد حلول جذريّة للتخلص من هذه المشكلة التي شكلت عائقاً أمام الفلاحين ومحاصيلهم، وحالت دون تطوّر الزراعة في معظم مناطق بلاد الشام ومدنها، لهذا حاول الأمويون انتهاج سياسة مائيّة تقوم على صيانة وترميم بعض المنشآت المائية التي كانت قد بنيّت في المنطقة منذ أيام الرومان، إضافة إلى بناء منشآت ووسائل جديدة للري كإقامة السدود والقناطر، وحفر الآبار والخزانات والبرك والترع والمستنقعات، وشق الأنهار الصغيرة والترع من الأنهار الكبيرة والرئيسة .[٦]

يبدو أنّ الغاية من هذه السياسة كانت جمع مياه الأمطار المتساقطة والمهدورة، وتخزينها في هذه المنشآت لاستخدامها في فصل الصيف وأوقات الجفاف؛ باعتبار هذه المنطقة كثيرة الأمطار في مواسم الهطل.

---

[١] العمري (أحمد بن فضل الله، ت٧٤٢ه/١٣٤١م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد زكي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م، ص٣٤٣.

[٢] حمادة(سعيد): النظام الاقتصادي، ص٩٢.

[٣] الشهابي(مصطفى): الزراعة العلمية الحديثة، ص١٠٨

[٤] حتي(فيليب): تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تر: عبد الكريم رافق، جورج حداد، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٨م، ج١، ص٣٢٨.

[٥] المقدسي (محمد بن أحمد، ت٣٧٥ه/٩٨٣م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مطبعة مدبولي، ط٣، ١٩٩١م، ص٢١٣.

[٦] البلاذري (أحمد بن يحيى، ت٢٧٩ه/٨٩٢م): فتوح البلدان، تح: محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٧٨م، ص١٤٩؛ علي (محمد كرد): الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٤م، ص٨٠.

والحقيقة إنّ معظم خلفاء بني أميّة وولاتهم انتهجوا هذه السياسة المائية من أجل تحسين واقع الزراعة في كل أرجاء الدولة العربية الإسلامية وعلى وجه الخصوص في بلاد الشام، وقنسرين جزء مهم من بلاد الشام، وموقعها في الأجزاء الشمالية الغربية في مناطق هطول الأمطار زاد من أهميتها، وربما كان سبباً ودافعاً كبيراً للأمويين من أجل إقامة المشاريع المائية فيها، حيث كانت تنفق مبالغ كبيرة من بيت المال من أجل ترميم وسائل الري وبناء وسائل جديدة تسهم في تحسين واقع الزراعة بشكلٍ عام ، حيث يذكر الدارسون والباحثون[1] في تاريخ الدولة الأموية اهتمام الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان (٦٠-٤١هـ/٦٦١-٦٨٠م) بالزراعة وحرصه على إقامة السدود وحفر الآبار وإنشاء المصانع على الطرقات ، ومن أبرز الأمثلة الشاهدة على[2] سياسة الأمويين الهادفة إلى تحسين الواقع المائي الذي بدوره سينعكس على الواقع الزراعي في قنسرين بشكل إيجابي، ترميم قناة للماء في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) كانت[3] قد بنيت في العصر الروماني وكانت توصل الماء من عين حيلان[4] المسماة عين إبراهيم الخليل شمال حلب إلى داخل المدينة .[5]

يبدو أنّ هذه القناة رممت وجُددت في العصر الأموي لأنها ربما تعرضت للتخريب أثناء عملية الفتح الإسلامي أو بسبب عوامل المناخ وطول الفترة الزمنية.

وتؤكد المصادر التاريخيّة أنّ الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) وأخيه[6] هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) اهتموا اهتماماً كبيراً بالزراعة وبإنشاء وإصلاح طرق الري، وأمروا عمالهم على الولايات بذلك ، حيث قام الخليفة الأموي هشام[8] بن عبد الملك بإحياء مجموعة من الأراضي الواسعة في الرصافة كانت خارج الاستثمار الزراعي بسبب نقص المياه، فقام بإروائها وإيصال الماء إليها بعد أن حفر نهرين فيها ربما من نهر الفرات أو أحد روافده، ومما يؤكد جهود الخلفاء الأمويين وسياستهم المائية الهادفة لتوفير مياه الزراعة في قنسرين، كثرت البرك المحفورة في الصخر والمنتشرة في منطقة حلب .[9][10]

---

[1] أبو النصر(عمر): الحضارة العربية الأموية في دمشق، بيروت، ١٩٤٨م، ص ٢٤٨.

[2] العش(يوسف): الدولة الأموية، ص١٥٨؛ علي (محمد كرد): الإدارة الإسلامية في عز العرب، ص٨٠

[3] عبد الملك بن مروان: هو عبد الملك بن مروان بن أبي العاص، أول من سمي عبد الملك في الإسلام، وقد تولى الخلافة سنة (٦٥هـ/٦٨٤م)، وهو أول من سك النقود العربية في الإسلام، توفي سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) ودفن في دمشق؛ الكتبي (محمد بن شاكر، ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): فوات الوفيات، تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د. ط، د. ت، ج٢، ص٤٠٢.

[4] حيلان: بفتح أولها، قرية من قرى حلب تخرج منها عين فوّارة كثيرة الماء تسيح إلى حلب وتدخل إليها في قناة، ثم تتفرق إلى كل أنحاء المدينة؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص٣٣٢.

[5] ابن شداد (محمد بن علي، ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى عبادة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١م، ج١، ق١، ص٥٠.

[6] الوليد بن عبد الملك: تولى الخلافة بعهد من أبيه سنة (٨٦هـ/٧٠٥م)، كان يلقب بالنبطي، وكانت مدة خلافته ٩ سنوات وعدة أشهر، ثم مات في دمشق سنة(٩٦هـ/٧١٤م)، وقد عرف عنه كثرة قراءة القرآن الكريم، ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم، ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تح، ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، ط٢، د. ت، ص٣٥٩.

[7] هشام بن عبد الملك: عاشر الخلفاء الأمويين، تولى الخلافة بعهد من أخيه يزيد، ولد سنة (٧٦هـ/٦٩٥م)، استمرت خلافته ١٩سنة، توفي بالرصافة ودفن بها، ابن قتيبة: المعارف، ص٣٦٥؛ القرماني (أحمد بن يوسف، ت١٠١٩هـ/١٦١٠م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح، أحمد حطيط، فهمي سعد، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٢م، ج٢، ص٤٨.

[8] الطبري (محمد بن جرير، ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٢م، ج٦، ص٢٣٧؛ المسعودي (علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الفكر، ج٢، ص١٦١.

[9] الدوري (عبد العزيز): العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، عمان، الجامعة الأردنية، ط١، ١٩٧٤م، ص٢٩.

[10] زكريا(مها): المنشآت المائية في بلاد الشام وآثارها الاجتماعية والاقتصادية في العصر الأموي، المملكة العربية السعودية، جامعة القصيم، ٢٠١٧م، ص٣٦.

لا يوجد دليل على إنشاء أو حفر هذه البرك أيام الأمويين، فربما تكون قد انشأت في العصور السابقة للفتح العربي الإسلامي للمنطقة، وربما تكون قد حفرت في العصر الأموي، لكن الأكيد أنّ هذه البرك حتى وإن كانت قد بنيت في العصور السابقة فهي قد رُممت وتمت صيانتها في العصر الأموي.

إنّ اهتمام بني أمية بالزراعة وبتوفير المياه لسقاية الأراضي الزراعية بهدف تطوير الزراعة وتنشيطها لم يقتصر فقط على الخلفاء الأمويين، بل تعداه إلى رجالات الدولة أيضاً فمسلمة بن عبد الملك كان قد حفر لأهل بالس نهراً من [١] الفرات، لسقاية بالس والقرى والضيع المحيطة بها والقريبة إليها، بعد طلب أهلها منه أن يحفر لهم نهراً شاكين له قلة المياه وندرتها، فاستجاب لطلبهم وحفر لهم نهراً حمل اسمه مقابل أن يعطوه الثلث من غلاتهم الزراعية [٢].

لابدّ أنّه كان لهذه الإجراءات التي قام بها الأمويون بعد انتقال الحكم إليهم واتخاذهم لدمشق عاصمة لهم منعكسات إيجابية على تفاصيل الحياة العامة في معظم مناطق بلاد الشام، بما فيها قنسرين والمناطق والمدن التابعة لها، حيث كانت لهذه الإجراءات أثر كبير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فعلى الصعيد الاقتصادي أسهمت إقامة مشاريع الري في زيادة الإنتاج الزراعي الذي كان مرتبطاً كما ذُكر سابقاً في هذا البحث بكمية الأمطار المتساقطة، حيث ساعدت هذه المشاريع في ري الأراضي وسقايتها في سنوات القحط وفصول الجفاف، إضافة إلى ذلك فقد أسهمت هذه المشاريع المائية في إدخال أصناف ومحاصيل زراعية جديدة إلى المنطقة، لم تكن تزرع من قبل فيها، لأنّ زراعتها كانت تتطلب شروطاً خاصة، منها توفر المياه بشكل دائم، وعلى الصعيد الاجتماعي، أدى توفر المياه لري المحاصيل الزراعية إلى توافر هذه المحاصيل بكثرة، مما انعكس انعكاساً إيجابياً على أسعار هذه المحاصيل، فتوافر المحاصيل بكمية كبيرة يسهم في انخفاض أسعارها.

لم تكن السياسة المائية التي طبقها الأمويون العامل الوحيد الذي أسهم في تطّور الزراعة في المنطقة بل كان هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن هذه السياسة، منها قيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بضرب عملة إسلامية خاصة بالدولة العربية الإسلامية، فكانت نقلة نوعيّة أثرت على كل مفاصل الحياة الاقتصادية للدولة العربية الإسلامية بما فيها الزراعة، فقد كان هذا الإنجاز الحضاري نوعاً من الاستقلال الاقتصادي والمالي للدولة العربية خاصةً مع اتساع الدولة وازدياد نشاطها التجاري، فمع انهيار الإمبراطورية الفارسية تأثرت كمية النقود المتداولة في الأسواق، ولم تعد هذه النقود كافية لسد حاجة السوق، يضاف إلى كل هذه الظروف انتشار ظاهرة الغش والتزييف في الدراهم الفارسية والدنانير الرومية، وفي ظل كل هذه العوامل وهذا الركود الاقتصادي كان لا بد لدولة كبيرة وعظيمة كالدولة العربية الإسلامية من القيام بنهضة وحركة تحقق لها استقلالها المالي، وتجعل منها دولة ذات ملامح خاصة، لا تخضع في تعاملها المالي لأي تبعية [٣].

هذا الإنجاز سهّل على الفلاحين عملية دفع الضرائب، وبدلاً من دفع الضرائب بشكل عيني من المحصول أصبح بإمكانهم أن يدفعوها بشكل نقدي، ومن دون أي معاناة أو تكلّف.

---

[١] مسلمة بن عبد الملك: هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الملقب بالجرادة الصفراء، غزا القسطنطينية والسند، وتولى العراق أيام أخيه يزيد، توفي سنة (١٢٠ه/٧٣٧م)، الرازي (محمد بن إدريس بن منذر، ت ٣٢٧ه/٩٣٨م): كتاب الجرح والتعديل، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ط١، ١٩٥٣م، مج٨، ص٢٦٦؛ الذهبي (محمد بن أحمد، ت٧٤٨ه/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تح، شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مأمون صاغرجي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨١م، ج٥، ص٢٤١.

[٢] البلاذري: فتوح البلدان، ص١٥٥،١٥٦.

[٣] ابن عبد ربه (أحمد بن محمد، ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م): العقد الفريد، تح: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٣م ،ج٥، ص ١٣٨؛ ابن كثر(إسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ط٢، ١٩٩٠م، ج٩، ص ١٤؛ حلاق(حسان علي): تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، دار الكتاب اللبناني والمصري، ١٩٧٨م ، ص ٤٥ .

يضاف إلى ذلك بعض المتغيرات السياسيّة والإدارية التي كان لها أثر إيجابي كبير على الزراعة، فمثلاً فصل جند قنسرين إدارياً عن جند حمص وجعلها جنداً مستقلاً بذاته سنة(٦١هـ/٦٨٠م) كان له أثر كبير على تطوّر الزراعة في هذا الجند، فقد كان الهدف من إحداث جند قنسرين السيطرة على الأراضي الممتدة من أنطاكية إلى الجزيرة وتنظيمها إدارياً [٢].

إنّ استقلال قنسرين إدارياً وجعلها جنداً منفصلاً أسهم في زيادة مساحة الأراضي الزراعية الخصبة بعد السيطرة على الأراضي الممتدة من أنطاكية إلى الجزيرة، إضافة إلى ذلك ربما سهّل استقلال جند قنسرين على الفلاحين والمزارعين معاملاتهم الزراعية والماليّة وطريقة دفعهم للضرائب وتواصلهم مع الإدارة الأمويّة.

سابعاً: ممارسات الخلفاء والأمراء الأمويين السلبية التي أثرت على الزراعة:

إنّ سياسة الخلفاء الأمويين لم تكن بأكملها سياسة ناجحة وإيجابية صبّت في مصلحة وخدمة الفلاحين والمزارعين وأسهمت في تطور الزراعة، فهناك ممارسات وسياسات طبّقها بعض الخلفاء الأمويين أثرت تأثيراً سلبياً على الزراعة وأعاقت تطورها، من هذه الممارسات:

أ-**إرهاق الفلاحين والناس بالضرائب**، حيث كان الناس يدفعون الخراج عن الأرض بحسب مساحتها إمّا نقداً أو من نتاجها، وفي حال أصاب الغلال آفة فإنّ الخراج يسقط عن صاحبها ، وفيما يخص جباية الخراج في بّلاد الشام فقد كان صلح الشام على المقاسمة وفرض دينار على كل رأس، والضرائب تجمع من الخراج والعشور والصدقات والجوالي (الذين جلوا عن أوطانهم)، ثم صارت الجباية عشرة أصناف: الخراج والجزية والعشور والأجور والزكاة وأثمان المبيعات والمقاسمات والغنيمة والفيء والمعادن [٤].

يتضح من هذا أن الخلفاء الأمويين فرضوا ضرائب جديدة على الناس، أرهقتهم وأثرت سلباً على زراعتهم، ومما يؤكد صحة هذا القول قيام الأمويين بوضع نظام متعلق بجباية الخراج تمثّل بالمحاسبة والمقاسمة والالتزام، أما المحاسبة فتعني أن الخراج يجبى وفقاً لمساحة الأرض ونوع الغلّة، وأما المحاسبة فتعني أن يخصص جزء من المحصول يقدر بالثلث أو الربع بيت مال المسلمين، أما الالتزام فيعني أن يتعهد رجل غني خراج قرية أو مدينة أو إقليم لحول كامل ثم يتولى هو جمع الخراج بنفسه [٥].

ثم إنّ هذا النظام الضريبي الظالم لم يختصر الممارسات السلبية التي أسهمت في تأخر الزراعة وأعاقت تطورها إلى حدٍ ما، بل إن الخلفاء الأمويين على ما يبدو كانوا يزيدون بمقدار الضرائب كلّ حسب هواه، دون الاعتماد على أسس واضحة أو ثابتة للزيادة، والدليل على ذلك ما أورده المؤرخون من اختلاف بمقدار الخراج بين المناطق والأجناد وبين عهد خليفة وعهد آخر، فمثلاً بلغ خراج قنسرين في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان أربعمئة وخمسين ألف دينار، وخراج الجزيرة خمسين ألف دينار ، أما في عهد الخليفة عبد الملكّ بن مروان بلغ خراج قنسرين ثمانمئة ألف دينار [٧].

---

[١] ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص٩.
[٢] عبد الرحمن(بدرالدين): قنسرين عش النسور، سوريا، مجلة التراث العربي، ٢٠٠٥م، مج٢٥، عدد٩٨، ص٥.
[٣] فروخ(عمر): تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٣م، ص٢١٧.
[٤] علي (محمد كرد): غوطة دمشق، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط٢، ١٩٥٢م، ص١٣٢.
[٥] النبراوي(فتحية): تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، جدة، دار السعودية للنشر، ط٣، ١٩٨٥م، ص١٥١.
[٦] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣٣؛ ابن العديم (عمر بن أحمد، ت٦٦٠ه/١٢٦١م): زبدة الحلب من تاريخ حلب، نشر: سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات، ص٤١.
[٧] ابن حوقل (محمد بن علي، ت ٣٩٧هـ/٩٧٦م): صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، ص١٦١-١٦٢.

ربما كان سبب هذا الاختلاف في مقدار ضريبة الخراج بين الأجناد وبين خليفة وآخر، التفاوت في المساحة بين الأجناد والأراضي التي تشملها، إضافة إلى اختلاف وتفاوت الخدمات والمشاريع التي كانت الدولة تعمل على إقامتها في كل جند من الأجناد، أو ربما سبب هذا الاختلاف في الضريبة حدوث كوارث طبيعية وانتشار الأوبئة والأمراض التي يمكن أن تفتك بالمحاصيل في بعض السنوات، وربما كما سبق وذكر منذ قليل كانت هذه الزيادة في الضرائب خاضعة لأهواء الحكام والخلفاء والظروف التي تمر بها خزانة الدولة.

وقد ورد في كتاب الحواضر الإسلامية نص يتحدث عن هذا الموضوع، حيث أكد الكاتب أن ما كان يرد إلى دمشق من خراج الولايات الإسلامية لم يكن ثابتاً، إذ كانت ضريبة الأراضي تقل وتكثر حسب الاهتمام بالتعمير وإصلاح الجسور وتحسين وسائل الري، كما الجزية تتناقص بالتوالي لدخول أهل الولايات في الإسلام، وكانت إيرادات بعض الولايات تقل بسبب عدم استقرار الأمور فيها [١].

إنّ هذه السياسة الضريبيّة الغير مدروسة أدت إلى إلحاق ظلم بالفلاحين وأصحاب الأراضي الزراعية، هذا الظلم الذي ربما كان كفيلاً لجعل المئات أو الآلاف من الفلاحين والمزارعين يبيعون أراضيهم ويتوقفون عن الزراعة، **منح الخلفاء الأمويين الإقطاعات والأراضي للأمراء والأعوان والمقربين منهم:** من الممارسات السلبية أيضاً التي أثرت سلباً على الزراعة في المنطقة وجعلت الفلاحين بحالة توتر وقلق، منح الخلفاء الأمويين الإقطاعات والأراضي للأمراء والأعوان والمقربين منهم، مما أدى إلى توزيع غير عادل للثورات وأدى إلى تقلّص الملكيات الصغيرة وفقدان الكثير من الفلاحين والمزارعين لأراضيهم، والحقيقة فقد بالغ الخلفاء الأمويون في منح الإقطاعات لأقاربهم ورجال دولتهم كمكافأة لهم على خدماتهم، حيث كانت هذه الإقطاعات تؤخذ من الأراضي التابعة للدولة كأراضي الصوافي والأراضي الخراجية، وقد أدت هذه السياسة التي طبّقها الأمويون إلى حد أنّها شكلت تهديداً لموارد الدولة وخزينتها [٢].

حيث قام الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بمسح كامل للصوافي في الشام والجزيرة، وأعطى منها إقطاعات لأهل بيته وخاصته ، واستمر هذا الحال إلى أن نفذت أرض الصوافي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي لم يجد أرضاً ليقطعها لخاصته، فألحوا عليه وعلى الخليفتين من بعده بإقطاعهم من أرض الخراج فرفضوا، لكنهم سمحوا لهم بشراء الأرض الخراجية والتي تحولت إلى عشرية، لكن هذه السياسة لم تستمر في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) الذيّ بدّل ما كان يسير عليه الخلفاء قبله وأمر بإيقاف بيع الأراضي وأصدر أمراً عاماً يمنح الأراضي الخراجية حماية لبيت المال ، حيث ترك هذه الأراضي بيد من[٥] آلت إليهم لتعذر إعادتها إلى وضعها الأول [٦].

---

[١] عبد الرؤوف (عصام الدين): الحواضر الإسلامية الكبرى، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٦م، ص٦٧.

[٢] الدوري (عبد العزيز): تاريخ العراق الاقتصادي، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٤م، ص٤؛ رحال(عاطف): تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، ص٣٣.

[٣] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١٥٢.

[٤] عمر بن عبد العزيز: تولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة (٩٩ه/٧١٧م)، عرف بعدله وتقواه، حتى قيل إنه الخليفة الراشدي الخامس، بسبب سياسته التي سار فيها بسيرة الراشدين، توفي سنة(١٠١ه/٧١٩م) بدير سمعان، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، ت٩١١ه/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، تح، محمد نصوح الحسيني، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ط٢، ٢٠١٣م، ص٣٩٧،٣٧٧.

[٥] الدوري (عبد العزيز): العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، ص٢٩

[٦] ابن عساكر (علي بن الحسن، ت٥٧١ه/١١٧٦م): تاريخ مدينة دمشق، تر: محب الدين سعد عمرو غرامة، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م، ج١، ص٥٩٦.

من هذه الإقطاعات في قنسرين (أرض بغراس) لمسلمة بن عبد الملك، إضافة إلى قرى وضياع في بالس والاسكندرونة، التي حفر لها نهراً مقابل الثلث من مواردها ثم صارت ملكاً لورثته .[١]

أدت هذه السياسة إلى اتساع نفوذ وملكيات الأمراء والأعوان وازدياد ثروتهم على حساب أصحاب الملكيات الصغيرة من فلاحين ومزارعين، الذين غدوا عاجزين عن دفع الضرائب الباهظة التي فرضت عليهم، أو سداد الديون التي أغرقتهم بسبب السياسة الضريبية الجديدة، ولم يعد باستطاعتهم مواجهة الظروف والمشاكل التي أحاطت بهم، لهذا لم يجدوا أمامهم من حل سوى أن يلجؤوا إلى أصحاب الملكيات الكبيرة ويضعون نفسهم في خدمتهم مقابل أن يتنازلوا عن أراضيهم لهؤلاء الأغنياء، وبذلك تحولوا من مالكين صغار إلى عمال وفلاحين يعملون بخدمة أصحاب الإقطاعات.

ت–الثورات والصراعات الداخلية: أضافت الممارسات السلبيّة التي أنتجها الخلفاء الأمويون، والتي أثرت في الزراعة سلباً وأعاقت تطوّرها في المنطقة، عاملاً آخر أسهم في تأخير الزراعة لا يقل أهمّية عما سبق ذكره، هو حالة الحرب المستمرة وكثرت الثورات الداخلية التي نشبت في المنطقة، فأرهقت الفلاحين وخربت محاصيلهم والحقت بهم الخسائر الفادحة وأغرقتهم بالديون، فحالة الفوضى والصراع وعدم الاستقرار تجعل الناس في حالة توتر وقلق دائمين وتشغلهم عن العناية بأراضيهم، وممارسة نشاطاتهم اليوميّة، فضلاً عن أعداد كبيرة من الفلاحين والمزارعين الذين كانوا يُجبرون على الهجرة من أراضيهم ومناطقهم هرباً من الصراعات وللنجاة بأرواحهم وعائلاتهم وطلباً للأمان والاستقرار، من هذه الثورات والصراعات، الاضطرابات التي تلت تنازل معاوية الثاني عن الخلافة ، فضلاً عن ذلك فقد بقيت قنسرين في العصر الأموي خط دفاع أولي ومركز لتجمع الجند للذود عن حياض الدولة العربية الإسلاميّة ولمواجهة البيزنطيين .[٢] [٣]

ثامناً: أبرز الحاصلات الزراعية في قنسرين والمناطق التابعة لها:

إن تنوع مناخ بلاد الشام وتضاريسه أدى بالنتيجة إلى تنوع حاصلاتها الزراعية، التي تعد مصدراً أساسياً للدخل بالنسبة إلى أغلب سكان هذه المنطقة، إضافة إلى أنها أحد أهم الموارد المالية للدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، يضاف إلى عامل المناخ والتضاريس التي أسهمت في هذا التنوع، العامل الذي تم ذكره سابقاً في هذا البحث ألا وهو السياسة المائية التي انتهجها الخلفاء الأمويون في المنطقة، والتي هدفت إلى تأمين المياه واستغلال مياه الأمطار المهدورة في فصول الهطل لري الأراضي الزراعية والمحاصيل في مواسم الجفاف، هذه السياسة أسهمت في تنوع الحاصلات الزراعية التي زرعت في قنسرين في العصر الأموي، يذكر منها:

١– الحبوب (القمح والشعير): يعد هذان المحصولان من المحاصيل الأساسية والرئيسة، لأنهما يدخلان في صناعة الخبز والكثير من الأغذية الأخرى والمأكولات إضافة إلى أنهما يستخدمان كعلف للحيوانات، وقد انتشرت زراعتهما في أغلب مدن بلاد الشام لأنهما يعدان من المحاصيل الإستراتيجية، وقد زرع القمح والشعير في قنسرين في شرق حلب وفي طرسوس .[٤]

---

[١] البلاذري، فتوح البلدان، ص١٥٥،١٥٦؛ مختار (محمد علي): دراسات في تاريخ العرب، القاهرة، دار النهضة العربي، ١٩٧٦م، ص٢٥٣.

[٢] بعد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة ومبايعة مروان بن الحكم بالخلافة ثارت عليه قبيلة كلب فقضى على الثورة وأخذ يعد العدة لإخضاع العراق لسلطته، إلا أنه فوجئ بقيام ثورة ضده في الرصافة بقيادة سليمان بن هشام الذي أخذ يوسع نفوذه واحتل قنسرين فأوقف مروان بن الحكم زحفه إلى العراق وتوجه لقتال سليمان والقضاء على ثورته؛ بروكلمان(كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية، بنيه أمين فارس، منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٦٨م، ص١٣٠.

[٣] عبد الرحمن(بدرالدين): قنسرين عش النسور، ص٦.

[٤] ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تح، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٨٨م، ج١، ص١٨٢، ٤٢٨.

٢- الزيتون: شجرة الزيتون من الأشجار القديمة التي وجدت في المنطقة، وهي شجرة مباركة ورد ذكرها بالقرآن الكريم﴿ والتين والزيتون ﴾ ، وقد اعتبر الزيتون محصولاً أساسياً أيضاً في بلاد الشام وفي قنسرين حيث كان منتشراً بكثرة في المنطقة، والدليل على ذلك أنه عند الفتح العربي الإسلامي لجند قنسرين صالح أبو عبيدة بن الجراح[٢] أهالي قنسرين على أن يدفعوا خمسمئة[٣] وسق من التين وزيت الزيتون ، وقد انتشرت زراعة الزيتون في قنسرين بشكل واسع وكبير لأنها كثيرة الأمطار، وهذا ما أكده الحميري في أثناء حديثه عن معرة النعمان[٤] وأنّه "لا يوجد فيها ماء جارٍ وشرب أهلها من السماء" مما يؤكد أن زراعة الزيتون فيها كانت معتمدة على مياه الأمطار، كما وانتشرت زراعة الزيتون بالاعتماد ع مياه الأمطار في منطقة قنسرين في حلب وضواحيها وفي جبل السماق[٦] وجبل سمعان[٨]؛ إضافة إلى انتشار أشجار الزيتون[٧] في بلدة سرمين[٩] التي اشتهرت بتربتها الخصبة وأمطارها الوفيرة .

٣- التين: شجرة التين من الأشجار الملازمة لشجرة الزيتون، حتى بالقرآن الكريم تم ذكرهما معاً﴿ والتين والزيتون ﴾ ربما لأن شروط زراعتهما متشابهة أو متقاربة، وهذا ما يؤكد انتشار زراعة التين في نواحي قنسرين مثلها مثل شجرة الزيتون، فهي من الأشجار البعلية التي تعتمد على مياه الأمطار، وقد انتشرت زراعتها في حلب وقراها[١] وفي سرمين[٣] ذات الأمطار الوفيرة[١] ومعرة النعمان[٣] وفي معرة مصرين[٣] وجبل السماق، حيث كان يصدر الفائض من التين إلى مصر والعراق[١] ، ومما يؤكد انتشار التين بكثرة في[٤] قنسرين كمحصول أساسي أنّه كما ذُكر سابقاً في هذا البحث أنه بعد الفتح العربي الإسلامي لقنسرين اشترط على أهلها أن يدفعوا جزية من محصولي التين والزيتون[١][٥] .

---

[١] القرآن الكريم: سورة التين، الآية١.

[٢] أبو عبيدة بن الجراح: هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري، من أصحاب رسول الله (ﷺ)العشرة المبشرين بالجنة، شهد وقعتي بدر وأحد، وهاجرة إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وتوفي سنة ثمانية عشر للهجرة؛ ابن الأثير (علي بن محمد، ت٦٣٠ه/١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، تقديم: محمد عبد المنعم البري، عبد الفتاح أبو سنه، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، ج٦، ص٢٧.

[٣] الواقدي (محمد بن عمر، ت٢٠٧ه/٨٢٣م): فتوح الشام، تح: صالح درادكة، الأردن، مؤسسة حمادة، د.ط، ٢٠٠٧م، ج٢، ص٣٥٧.

[٤] الحميري (محمد بن عبد المنعم، ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م، ص٥٥٥.

[٥] ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص٦٨.

[٦] جبل السماق: هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدن كثيرة وقرى وضيع وقلاع، سمي بهذا الاسم لكثرة ما ينمو به من السماق؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص١٠٢.

[٧] ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص٤٢٢.

[٨] سرمين: بفتح أولها وسكون ثانيها وكسر الميم، هي بلدة مشهورة من أعمال حلب سميت باسم اليفز بن سام بن نوح عليه السلام؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص٢١٥.

[٩] القلقشندي (أحمد بن عبد الله بن علي، ت٨٢١ه/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م، ج٤، ص١٢٦.

[١٠] القرآن الكريم: سورة التين، الآية١.

[١١] ابن الفقيه الهمذاني (أحمد بن محمد، ت ٣٤٠ه/٩٥١م): مختصر كتاب البلدان، تح: يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتاب، ط١، ١٩٩٦م، ص١٦٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص٢٨٤؛

[١٢] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص١٢٦.

[١٣] الحميري: الروض المعطار، ص٥٥٥.

[١٤] ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص٦٠.

[١٥] الواقدي: فتوح الشام، ج٢، ص٣٥٧.

٤- كروم العنب: انتشرت كروم العنب في مناطق عديدة من قنسرين، أهمها تل أعرن[١] الذي ارتبط اسمه بنوع من العنب الأحمر المدّور إضافة إلى انتشار كروم العنب الخالية من البذار في طرسوس[٣] وفي جبل السماق[٤] في كثير من مناطق حلب وقراها[٥].

٥- التفاح: تعتبر شجرة التفاح من الأشجار الجبلية التي تتحمل قسوة المناخ، الأمر الذي جعل انتشارها كبيراً في المناطق الجبلية والسهول، وعليه فقد انتشرت أشجار التفاح في جند قنسرين في جبل السماق، وتحديداً في أحد قراه واسمها نَوَازٌ[٦] والتي اشتهرت بالتفاح الكبير أحمر اللون[٧]، كما انتشرت أشجار التفاح في حلب وفي معرة النعمان[٨].

٦- الرمان: كان الرمان من أهم المحاصيل الزراعية التي انتشرت زراعته في قنسرين، وتحديداً في شيزر[٩] التي كثرت فيها المزروعات وتحدّيداً أشجار الرمان[١٠] معرة النعمان[١١] وحلب[١٢].

٧- القطن: يعتبر القطن من المحاصيل الصناعية التي ارتبطت بصناعة الملابس والمنسوجات، وربما كان من المحاصيل التي زاد انتشارها في المنطقة بعد إقامة مشروعات الماء من قبل الخلافة الأموية، مما أسهم في توافر شروط زراعته، لأنه يحتاج إلى كميات كبيرة من الماء، ومن أهم مناطق زراعته في حلب وقراها وفي جبل السماق[١٣] وقد ارتبط محصول القطن بالصّناعة كما ذُكر وبالتجارة، فكانت تجارة القطن من أهم أنواع التجارات في قنسرين ككل وفي مدينة حلب على وجه الخصوص[١٤].

٨- النخيل: أشجار النخيل من الأشجار التي لا تنمو إلا في منطقة ذات حرارة مرتفعة، وقد توفرت هذه الشروط في شمال طرسوس الأمر الذي أسهم في انتشار أشجار النخيل فيها[١٥].

٩- الفستق الحلبي: إنّ ارتباط اسمه باسم حلب دليل كبير على انتشار زراعته فيها بشكل واسع وعلى مساحات كبيرة[١٦]، كما انتشرت زراعته في جبل السماق[١٧] وفي معرة النعمان حيث كان يصدر كميات كبيرة منه إلى مصر والشام[١].

---

[١] تل أعرن: بفتح الألف، وسكون العين المهملة، وفتح الراء والنون، هي قرية صغيرة من نواحي حلب؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص٣٩.

[٢] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص٣٩.

[٣] طرسوس: بفتح الطاء والراء، تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الشمالي الغربي من أنطاكية، بينها وبين الروم جبال متشعبة ووعرة هي جبال اللكام؛ الاصطخري (إبراهيم بن محمد، ت٣٤٥هـ/٩٥٧م): المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤م، ص٤١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص٣٠.

[٤] ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١٨٠،٤٢٣.

[٥] القزويني (زكريا بن محمد، ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، ١٩٦٩م، ص١٨٣.

[٦] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص٣٠٦.

[٧] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٨٣.

[٨] الجندي (محمد سليم): تاريخ معرة النعمان، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٦٢م، ج١، ص٢٧٥،٢٨١.

[٩] شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، يمر نهر الأردن وسطها؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص٣٨٣.

[١٠] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص١٢٣.

[١١] الخرابشة (ممدوح عبد الحليم): الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر البيزنطي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠١٠م، ص٩٨.

[١٢] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص١٠٢،٢٨٤؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٨٣.

[١٣] المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩١م، ص١٨١.

[١٤] ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٨٢.

[١٥] الإدريسي (محمد بن عبد الله بن إدريس، ت ٥٦٠هـ/١١٦٦م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٩م، ج٢، ص٦٥٢.

[١٦] علي (محمد كرد): خطط الشام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٩م، ج٤، ص١٤٧.

[١٧] ابن جبير: رحلة ابن جبير ، ص٢٢٩.

١٠- الخضروات والفواكه: تنوعت الخضار والفواكه التي زُرعت في مناطق وأنحاء قنسرين، لاسيّما في مناطقها الخصبة مثل حلب التي انتجت البطيخ والخيار والدخن والكروم والمشمش والسمسم والورد والآس والأشنان ، إضافة إلى معرة النعمان التي تعدّ أخصب مناطق جند قنسرين وبلاد الشام عامةً، هذا ما أكده ابن جبير عندما قال: (إن بلاد المعرة سواد كلها، وهي أخصب بلاد الله، وأكثرها رزقاً) ، حيث اشتهرت بزراعة الخضار والفواكه كالمشمش والخوخ والكرز والرمان والتفاح والكمثرى .

تاسعاً: الخاتمة والاستنتاجات:

بعد الانتهاء من هذا البحث الذي حمل عنوان: (الزراعة في قنسرين أيام الدولة الأموية(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) يمكن القول إنّ الأمويين بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل تأسيس دولة عربية إسلامية مترامية الأطراف، قويّة ومستقرة ومتطوّرة وغنيّة، هذه القوة وهذا الاستقرار لم يقتصرا على السياسة فقط كما يعتقد البعض، بل شملا مختلف جوانب الحياة الأخرى بما فيها القوة والاستقرار الاقتصادي، حيث رأى الأمويون أن القوة العسكرية وحدها ليست كافية لتأسيس دولة عربية إسلامية قويّة ومتماسكة ومستقرّة لها وزنها على الصعيد الدولي، بل لا بدّ أن يعزز هذا الاستقرار والقوة السياسية والعسكرية استقراراً وقوة اقتصاديين، لهذا اعتنوا بالاقتصاد بكل أركانه من تجارة وصناعة وزراعة ، وقد كان للزراعة النصيب الأكبر من الاهتمام لأنّها كانت أهم مورد اقتصادي للدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، مما جعلهم يبذلون أقصى ما بوسعهم لتطويرها والنهوض بها لأنها تحقق نوعاً من الاكتفاء الذاتي للسكان ضمن حدود الدولة وتسهم بنصيب كبير من الصادرات في مجال التجارة، مما يعود بالربح على خزينة الدولة، خاصةً وأنّ بلاد الشام مركز الخلافة الأموية بكل نواحيها كانت من أخصب مناطق الدولة العربية الإسلامية وأكثرها ملاءمةً للزراعة، لهذا حاول الأمويون استثمار كل الأراضي الزراعية في هذه البلاد، وطبقوا فيها سياسة مائية وزراعية واحدة تتناسب وظروف كل منطقة أو ناحية فيها، ومن خلال التهذا البحث الأمويون التي طوّروا الزراعة نتائج أسهمت إسهاماً فعّالاً في زيادة مساحة الأراضي الزراعية المزروعة فعلياً، بعد أن كان بعضها يعاني من نقص في مردودها الزراعي، وكان بعضها الآخر خارج الاستثمار الزراعي نتيجة نقص بالمقومات العامة للزراعة.

٢- تعد أرض قنسرين بكل مدنها وقراها ونواحيها من أخصب أراضي بلاد الشام على الإطلاق، وقد تضافرت مجموعة من العوامل الطبيعيّة والبشرية فيها، وأسهمت في تنّوع حاصلاتها الزراعية؛ هذا التنوع بالحاصلات الزراعية في قنسرين فرضته مجموعة من العوامل والظروف؛ يمكن تقسيمها إلى: طبيعيّة تمثّلت بالمناخ والموقع والتضاريس والطبيعة والأرض الخصبة، وبشريّة تمثّلت بجهود الخلفاء الأمويين المبذولة في تطبيق سياسة مائية ناجحة، أسهمت في إحياء الكثير من الأراضي الزراعية التي كانت خارج الاستثمار بسبب نقص المياه. إنّ السياسة المائية التي طبّقها الأمويون في الدولة العربية الإسلامية بشكل عام وفي شمال بلاد الشام(قنسرين) بشكل خاص، كحفر الآبار والترع وشق القنوات والأنهار الصغيرة وبناء الخزانات أسهمت بشكلٍ كبير في توفير المياه وتخزينها إلى فصول الجفاف، مما انعكس بشكلٍ إيجابي على تنوّع

---

[١] ابن بطوطة (محمد بن عبد الله، ت٧٧٩ه/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد بن عبد المنعم العريان، راجعه: مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ص٨٤.

[٢] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٨٣.

[٣] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص٤٥٠.

[٤] ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص٢٢٩.

[٥] الجندي (محمد سليم): تاريخ معرة النعمان، ص٢٧٥،٢٨١.

الحاصلات الزراعية في هذه المنطقة لاسيّما المزروعات التي تستوجب زراعتها توافراً للمياه بشكلٍ دائم، حيث أسهمت إقامة مشاريع الري في زيادة الإنتاج الزراعي الذي كان مرتبطاً كما ذُكر سابقاً في هذا البحث بكمية الأمطار المتساقطة، كما وساعدت هذه المشاريع في ري الأراضي وسقايتها في سنوات القحط وفصول الجفاف، إضافة إلى ذلك فقد أسهمت هذه المشاريع المائية في إدخال أصناف ومحاصيل زراعية جديدة إلى المنطقة.

٤- بالوقت التي تأثرت فيه الزراعة في قنسرين إيجاباً بالسياسة المائية الناجحة للخلفاء الأمويين تأثرت أيضاً ببعض الممارسات السلبية لبعض خلفاء الدولة الأموية، لاسيّما النظام الضريبي المجحف الذي فرضه الأمويون على السكان والذي أرهق الفلاحين وأغرقهم بالديون، وسياسة منح الإقطاعات والأراضي للأمراء والمقربين ورجال الدولة الأموية، هذه السياسة التي حوّلت أعداداً كبيرة من المزارعين والفلاحين من ملاكين صغار إلى عمال يعملون بخدمة أصحاب الإقطاعات الكبيرة.

٥- وعلى الصعيد الاجتماعي، أدى توفر المياه لري المحاصيل الزراعية إلى توافر هذه المحاصيل بكثرة، مما انعكس انعكاساً إيجابياً على أسعار هذه المحاصيل، فتوافر المحاصيل بكمية كبيرة يسهم في انخفاض أسعارها.

٦- كانت الزراعة تتأثر بشكل كبير بالأوضاع والأحداث السياسيّة بالمنطقة، فالثورات والصراعات الداخليّة والحروب المستمرة تؤدي إلى إلحاق أضرار كبيرة بالأراضي الزراعية وبالمحاصيل والأشجار المثمرة، وستشغل الفلاحين عن الاهتمام بأراضيهم، فضلاً عن دورها في إجبار أعداد كبيرة من الناس على ترك أراضيهم ومغادرتها هرباً من الموت ولنجاة بأرواحهم.

٧- إنّ الخلفاء الأمويين كانوا في الحقيقة رجال حرب أكثر ما كانوا رجال حضارة، وربما ذلك عائدٌ إلى قصر المدّة الزمنية للدولة الأموية، وامتلأ العصر الأموي بالفتن والاضرابات التي أرهقت الدولة وأثرت في بعض الأوقات على الزراعة بشكل سلبي، لكنّ ذلك لا يعني أنّ الأمويين لم يهتموا بمجالات الحياة الأخرى كالاقتصاد والعلوم والحضارة، بل على العكس تماماً فقد كان لهم فضل كبير في كل هذه المجالات، حيث طوّروا الزراعة والصناعة والتجارة، وأقاموا المنشآت المعمارية والحضارية، واعتنوا بالعلم والعلماء.

المصادر:

١- *القرآن الكريم*: سورة التين.

٢- ابن الأثير (علي بن محمد، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، تقديم: محمد عبد المنعم البري، عبد الفتاح أبو سنه، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، ج٦.

٣- الإدريسي (محمد بن عبد الله بن إدريس، ت ٥٦٠هـ/١١٦٦م): *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٩م، ج٢.

٤- الأزدي (يزيد بن محمد، ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م): تاريخ الموصل، تح: علي حبيبة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، ١٩٦٧م.

٥- الاصطخري (إبراهيم بن محمد، ت٣٤٥هـ/٩٥٧م): *المسالك والممالك*، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤م.

٦- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله، ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): *رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تح: محمد بن عبد المنعم العريان، راجعه: مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم، ط١، ١٩٨٧م، ج١.

٧- البلاذري (أحمد بن يحيى، ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، تح: محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٧٨م.

٨- ابن جبير (محمد بن أحمد، ت٦١٤/١٢١٧م): *رحلة ابن جبير*، بيروت، دار صادر.٩- الحميري (محمد بن عبد المنعم، ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م): *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تح، إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

١٠- ابن حوقل (محمد بن علي، ت ٣٩٧هـ/٩٧٦م): *صورة الأرض*، بيروت، دار صادر، ١٩٣٩م.

١١- ابن خياط (خليفة العصفري، ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): *تاريخ خليفة بن خياط*، تح: أكرم ضياء الدين، بيروت، دار القلم، ط٢، ١٩٧٧م.

١٢- الذهبي (محمد بن أحمد، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): *سير أعلام النبلاء*، تح، شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مأمون صاغرجي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨١م، ج٥. ١٣- الرازي (محمد بن إدريس بن منذر، ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م): *كتاب الجرح والتعديل، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ط١، ١٩٥٣م، مج٨.*

١٤- ابن سيده (علي بن إسماعيل، ت٤٠٨هـ/١٠٦٥م): *المحكم والمحيط الأعظم*، تح: حمدي الدمرداش، القاهرة، مكتبة نزار الباز، ط١، ٢٠٠٠م، ج٥.

١٥- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، ت٩١١هـ/١٥٠٥م): *تاريخ الخلفاء*، تح، محمد نصوح الحسيني، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ط٢، ٢٠١٣م.

١٦- ابن الشحنة (محمد بن محمد، ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م)*: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب*، تح: يوسف بن إليان سركيس الدمشقي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين١٩٠٩م-١ابن شداد (محمد بن علي، ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م): *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة*، تح: يحيى عبادة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١م، ج١، ق١.

١٨- الطبري (محمد بن جرير، ت٣١٠هـ/٩٢٢م): *تاريخ الرسل والملوك*، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٢م، ج٦.

١٩- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد، ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م): *العقد الفريد*، تح: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٣م، ج٥.

٢٠- ابن كثر(إسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): *البداية والنهاية*، بيروت، مكتبة المعارف، ط٢، ١٩٩٠م، ج٩.

٢١- ابن العديم (عمر بن أحمد، ت٦٦٠هـ/١٢٦١م): *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، نشر: سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات.

٢٢- بغية الطلب في تاريخ حلب، تح، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٨٨م، ج١.

٢٣- ابن عساكر (علي بن الحسن، ت٥٧١هـ/١١٧٦م): *تاريخ مدينة دمشق*، تر: محب الدين سعد عمرو غرامة، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م، ج١.

٢٤- العمري (أحمد بن فضل الله، ت٧٤٢هـ/١٣٤١م): *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد زكي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م.*

٢٥- ابن الفقيه الهمذاني (أحمد بن محمد، ت ٣٤٠هـ/٩٥١م): *مختصر كتاب البلدان*، تح: يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتاب، ط١، ١٩٩٦م.

٢٦- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم، ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): *المعارف*، تح، ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، ط٢، د. ت.

٢٧- ابن قدامة (عبدالله بن أحمد، ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م): *المغنى*، تح: محمد رشيد رضا، القاهرة، دار المنار، ط٢، ١٩٤٧م، ج ٥.

٢٨- القرماني (أحمد بن يوسف، ت١٠١٩هـ/١٦١٠م): *أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ*، تح، أحمد حطيط، فهمي سعد، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٢م، ج٢.

٢٩- القزويني (زكريا بن محمد، ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): *آثار البلاد وأخبار العباد*، بيروت، دار صادر، ١٩٦٩م.

٣٠- القلقشندي (أحمد بن عبد الله بن علي، ت٨٢١هـ/١٤١٨م): *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.

٣١- الكتبي (محمد بن شاكر، ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): *فوات الوفيات*، تح، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د. ط، د. ت، ج٢.

٣٢- المسعودي (علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، بيروت، دار الفكر، ج٢.

٣٣- المقدسي (محمد بن أحمد، ت٣٧٥هـ/٩٨٣م): *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، القاهرة، مطبعة مدبولي، ط٣، ١٩٩١م، ص٢١٣.

- المقدسي: *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩١م، ص١٨١.

٣٤- ابن منظور (محمد بن مكرم، ت٧١١هـ/١٣١١م): *لسان العرب*، بيروت، دار صادر،١٩٩٣م، ج٤.

٣٥- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبدالله، ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م): *التلخيص في معرفة أسماء الأشياء*، تح: عزة حسن، دمشق، المجمع العلمي العربي،١٩٦٩م، ج٢.

٣٦- الواقدي (محمد بن عمر، ت٢٠٧هـ/٨٢٣م): *فتوح الشام*، تح: صالح درادكة، الأردن، مؤسسة حمادة، د.ط، ٢٠٠٧م، ج٢.

٣٧- ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): *معجم البلدان*، بيروت، دار صادر، د. ط، د.ت مج١.

٣٨- اليعقوبي (أحمد بن إسحاق، ت٢٩٢هـ/٩٠٥م): *تاريخ اليعقوبي*، تح: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٢م، ج٢.

٣٩- أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم، ت١٨٢هـ/٧٩٨م): *الخراج*، القاهرة، المكتبة السلفية، ط٢، ١٩٦٢م.

المراجع:

١- بروكلمان(كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية، *نقله إلى العربية، بنيه أمين فارس*، منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٦٨م.

٢- الجندي (محمد سليم): تاريخ معرة النعمان، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٦٢م، ج١. ٣- حلاق (حسان علي): *تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي*، دار الكتاب اللبناني والمصري، ١٩٧٨م.

٤- الخرابشة (ممدوح عبد الحليم): *الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر البيزنطي*، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠١٠م.

٥- الدوري (عبد العزيز): *العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام*، عمان، الجامعة الأردنية، ط١، ١٩٧٤م.

٦- الدوري (عبد العزيز)*: تاريخ العراق الاقتصادي*، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٤م٧- رحال(عاطف): *تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي*، بيروت، دار بيسان للنشر، ط١، ٢٠٠٠م.

٨- زكريا(مها): *المنشآت المائية في بلاد الشام وآثارها الاجتماعية والاقتصادية في العصر الأموي*، المملكة العربية السعودية، جامعة القصيم، ٢٠١٧م.

٩- زيادة(نقولا): *دراسات في الحضارة والتاريخ*، بيروت، الاهلية للنشر والتوزيع،١٢٠ـ ٢م. شهابي(مصطفى): *الزراعة العملية الحديثة*، دمشق، مطبعة الاعتدال، ط٢، ١٩٣٥م١١- صالح (محمد أمين): *النظام العالمي والاقتصادي في الإسلام*، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٤م.

١٢- عبد الرحمن(بدرالدين)*: قنسرين عش النسور*، سوريا، مجلة التراث العربي، ٢٠٠٥م، مج٢٥، عدد٩٨.

١٣- عبد الرؤوف (عصام الدين): *الحواضر الإسلامية الكبرى*، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٦م.

١٤- عبد السلام(عادل): *جغرافية سورية طبيعية بشرية اقتصادية*، دمشق، ١٩٧٠م، ج١. ١٥- العش(يوسف): *الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها*، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٦٥م.

١٦- علي (محمد كرد): *الإدارة الإسلامية في عز العرب*، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٤م.
١٧- علي (محمد كرد): *خطط الشام*، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٩م، ج٤.
١٨- علي (محمد كرد): *غوطة دمشق*، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط٢، ١٩٥٢م.
١٩- فروخ(عمر): *تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية*، بيروت، دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٣م.
٢٠- كاهين(كلود): *تاريخ العرب والشعوب الإسلامية*، تر: بدر الدين قاسم، القاهرة، دار الحقيقة، ط١، ١٩٤٧م، مج١.
٢١- مختار (محمد علي): *دراسات في تاريخ العرب*، القاهرة، دار النهضة العربي، ١٩٧٦م.
٢٢- النبراوي(فتحية): *تاريخ النظم والحضارة الإسلامية*، جدة، دار السعودية للنشر، ط٣، ١٩٨٥م.
٢٣- أبو النصر(عمر): *الحضارة العربية الأموية في دمشق*، بيروت، ١٩٤٨م.